The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Christmas – Part 1	عيدُ الميلادِ المَجيد الجُزء 1
#D-20091223	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 494
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ، صَديقي المُستَمِع، في حَلْقَةٍ خَاصَّةٍ مِنَ البَرْنامَج الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم". وَسَوْفَ نَسْتَمِعُ في هَذِهِ الحَلْقَةِ (وَالحَلْقَتَيْنِ المُقْبِلَتَيْنِ أيْضًا) إلى رِسالَةٍ مُهِمَّةٍ عَنْ عِيْدِ المِيلادِ المَجيدِ الذي نَحْتَفِلُ فيهِ بِذِكْرى وِلادَةِ مُخَلِّصِ العَالَمِ يَسوعَ المَسيح.

وَفي هَذِهِ الحَلْقاتِ الثَّلاثِ، سَنَتَأمَّلُ مَعًا، عَزيزي المُستمِع، في أرْوَع وَأعْظَم قِصَّةٍ عَرَفَتْها البَشَرِيَّةُ. كَيْفَ لا وَهِيَ القِصَّةُ التي غَيَّرَتْ مَسارَ التَّاريخِ البَشَرِيِّ بِمُجْمَلِهِ!

وَقَبْلَ أنْ نَسْتَمِعَ إلى رِسالَةِ اليوم، نَتَمَنَّى لَكَ، عَزيزي المُستمِع، عيْدًا مَجيدًا حَافِلًا بِالبَرَكَةِ وَالخَيْر. وَنُصَلِّي أنْ تَكونَ هَذِهِ الرِّسالَةُ سَبَبًا في حُدوثِ تَغْييرٍ جَذْريٍّ في حَياتِكَ مِنْ خِلالِ قَبولِ يَسوعَ رَبًّا وَمُخَلِّصًا.

والآنَ نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين، مَعَ قِصَّةِ وِلادَةِ يَسوعَ المَسيح يَسْرُدُها لَنا الرَّاعي "تشك سميث".

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

لَقَدْ حَدَثَ أمْرٌ عَجيبٌ في بَيْتِ لَحْمٍ قَبْلَ نَحْوِ ألْفَيْ سَنَة. فَقَدْ وُلِدَ الطِّفْلُ يَسوعُ آنَذاك. وَقَدْ كانَتْ وِلادَتُهُ الحَدَثَ الذي غَيَّرَ العَالَمَ إلى الأبَد. فَالهَدِيَّةُ التي أرْسَلَها اللهُ الآبُ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ إلى الأرْضِ فَتَحَتْ بَابَ السَّماءِ عَلى مِصْراعَيْهِ أمامَ النَّاسِ جَميعًا للدُّخولِ إلى مَحْضَرِ اللهِ القُدُّوس. فَمِنْ خِلالِ وِلادَةِ يَسوعَ المَسيح، أعْلَنَ اللهُ حُبَّهُ للبَشَرِيَّةِ. لِذلكَ فإنَّ كُلَّ مَنْ يُدْرِكُ مَا حَدَثَ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ لا يَتَوَقَّفُ عَنْ تَقْديمِ الحَمْدِ وَالشُّكْرِ للهِ عَلى عَطِيَّتِهِ التي لا تُقَدَّرُ بِثَمن.

وَلَكِنَّ كَثيرينَ يَجْهَلونَ مَا حَدَثَ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ. وَكَثيرونَ يَحْتَفِلونَ بِعيدِ المِيلادِ المَجيدِ دُوْنَ التَّفْكيرِ في صَاحِبِ العِيْد (أيْ دُوْنَ التَّفْكيرِ في مُخَلِّصِ البَشَرِيَّةِ يَسوعَ المَسيح). لِذلكَ فإنَّ السُّؤالَ الذي يَطْرَحُ نَفْسَهُ هُوَ: هَلْ تُدْرِكُ، يا صَديقي، المَعْنى الحَقيقيَّ لِعِيْدِ المِيلادِ المَجيد؟ وَهَلْ تَتَوَقَّفُ مَعَنا قَليلًا للتأمُّلِ في مَا حَدَثَ في بَيْتِ لَحْمٍ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ الهَادِئَة؟

وَلَعَلَّكُمْ سَمِعْتُمْ، يا أحِبَّائي، التَّرْنيمَةَ التي تَقول: "هَذا هُوَ اليَوْمُ السَّعيد ... فَلْتَفْرَحِ الشُّعوب!" لِذلكَ، أوَدُّ أنْ أسْألَكَ، يا صَديقي: هَلْ تَمْتَلِكُ تِلْكَ السَّعادَةَ التي تَتَحَدَّثُ عَنْها هَذِهِ التَّرْنيمَة؟ وَهَلْ تُدْرِكُ الفَرَحَ العَظيمَ الذي أعَدَّهُ اللهُ لَكَ مِنْ خِلالِ وِلادَةِ ابْنِهِ يَسوعَ المَسيح؟ فَبِدونِ يَسوعَ المَسيحِ، لا وُجودَ لأيِّ فَرَحٍ حَقيقيٍّ في هَذا العَالَم. فَالعالَمُ كُلُّهُ مُنْغَمِسٌ في الخَطِيَّةِ وَعَبْدٌ لَها. وَلأنَّنا عَبيدٌ للخَطِيَّةِ، لا يُمْكِنُنا أنْ نَخْتَبِرَ الفَرَحَ الحَقيقيَّ. وَبالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ فإنَّ النَّاسَ يُحاوِلونَ جَاهِدينَ أنْ يَبْحَثوا عَنِ السَّعادَةِ. وَهُناكَ أشْخاصٌ كَثيرونَ يَحْتَفِلونَ بِعيدِ المِيلادِ المَجيدِ ظَنًّا مِنْهُمْ أنَّ هَذِهِ هِيَ السَّعادَةَ الحَقيقيَّة. وَلَكِنْ، وَيَا للأسَف، فَإنَّ كَثيرينَ لا يُدْرِكونَ مَعْنى هَذا العِيْدِ. فَهُوَ في نَظَرِهِمْ، أكْلٌ، وَشُرْبٌ، وَزِيْنَةٌ، وَتَبادُلٌ للزِّياراتِ وَالهَدايا.

وَلَعَلَّكَ لاحَظْتَ، عَزيزي المُستمِع، الشَّوارِعَ المُزَيَّنَةَ في مَوْسِمِ الأعْيادِ. أوْ لَعَلَّكَ لاحَظْتَ الزِّيْنَةَ الجَميلَةَ وَالأضْواءَ المُلَوَّنَةَ في حَدائِقِ المَنازِلِ في هَذا العِيْد. وَلَكِنَّ كَثيرينَ لا يُدْرِكونَ رَوْعَةَ النُّورِ الحَقيقيِّ الذي جَاءَ إلى العَالَمِ قَبْلَ نَحْوِ ألْفَيْ سَنَة. لذلكَ فإنَّنا نَقْرَأُ في إنْجيل يوحَنَّا 1: 9 و 10 عَنْ يَسوعَ المَسيح: "كَانَ النُّورُ الحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ. كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ". وَكَمْ هُوَ مُؤسِفٌ أنْ نَقولَ إنَّ هَذِهِ هِيَ حَالُ العَالَمِ حَتَّى وَقْتِنا الحَاضِرِ لأنَّ العَالَمَ لا يَعْرِفُ يَسوعَ المَسيحَ وَلا يُريدُ أنْ يَعْرِفَهُ.

وَلَكِنَّ قِصَّةَ مِيلادِ يَسوعَ المَسيحَ تُجيبُ عَنْ أهَمِّ الأسْئِلَةِ في الحَياةِ بأسْرِها. فَهِيَ تُخْبِرُنا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ العَجيبَةِ التي يَنْبَغي لِكُلِّ إنْسانٍ أنْ يَسْمَعَها وَيَحْفَظَها في قَلْبِهِ. وَهِيَ مَحَبَّةٌ فَائِقَةٌ تَتوقُ حَتَّى المَلائِكَةُ إلى إدْراكِ أبْعادِها. وَهِيَ مَحَبَّةٌ قَوِيَّةٌ حَتَّى إنَّها تُحَوِّلُ الرَّمادَ إلى جَمالٍ، وَتَبْعَثُ الحَياةَ في الأمْواتِ.

لِذا، فإنَّنا، يا أحِبَّائي، على وَشْكِ سَماعِ أرْوَعِ قِصَّةِ حُبٍّ عَرَفَتْها البَشَرِيَّة. أجَلْ يا صَديقي! فَهِيَ قِصَّةُ حُبِّ اللهِ للإنسان! وَمَعَ أنَّنا اعْتَدْنا على فَتْحِ الهَدايا بِسُرْعَة في هَذا العِيْدِ، فإنَّني أدْعوكُمْ إلى تَأجيلِ فَتْحِ الهَدايا قَليلًا. فَكُلُّ الأشْياءِ المَادِّيَّةِ التي في هَذا العَالَمِ سَتَزولُ

وَتَقْنى في نِهايَةِ المَطافِ. لِذلكَ، لِنَنْتَظِرْ قَليلًا قَبْلَ أنْ نَسْمَحَ لأولادِنا أنْ يَفْتَحُوا الهَدايا. ولْنُخْبِرُهُمْ أوَّلًا عَنْ صَاحِبِ هَذا العِيْدِ، وَعَنِ الهَدِيَّةِ الرَّائِعَةِ التي ستَبْقى إلى أبَدِ الآبِدين. فَنَحْنُ نَقْرَأُ في إنْجيل لُوقا 2: 8 11:

"وَكَانَ فِي تِلْكَ الكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ، وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمُ المَلاَكُ: «لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ اليَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ المَسِيحُ الرَّبُّ".

وَنَجِدُ في هَذِهِ الآياتِ أعْظَمَ مَحَبَّةٍ أظْهَرَها اللهُ مِنْ نَحْوِ العَالَمِ. وَهِيَ هِبَةٌ لا تَفوقُها هِبَة، وَهَدِيَّة لا تَفوقُها هَدِيَّة! وَهِيَ عَطِيَّةٌ تَعْجَزُ عُقولُنا عَنِ اسْتيعابِها تَمامًا. لِذلكَ، أرْجو مِنْ كُلِّ قَلْبي أنْ نَفْتَحَ هَدِيَّةَ اللهِ أوَّلًا قَبْلَ أنْ نَفْتَحَ هَدايا عِيْدِ المِيلادِ المَجيد. فَهَدِيَّةُ اللهِ لَكَ، يا صَديقي، تَضْفي فَرَحًا وَبَهْجَةً وَسُرورًا إلى حَياتِكَ بِشَكْلٍ لَمْ تَخْتَبِرْهُ مِنْ قَبْل. وَإنْ قَبِلْتَ العَطِيَّةَ التي يُقَدِّمُها اللهُ الحَيُّ لَكَ، سَتُدْرِكُ المَعْنى الحَقيقيَّ لِعيدِ المِيلادِ المَجيد.

وَالآنْ، تَعالَ بِنا، صَديقي المُستمِع، نَقْرَأُ مَا حَدَثَ قَبْلَ نَحْوِ ألْفَيْ سَنَة. فَنَحْنُ نَقرأُ في إنْجيل لوقا 1: 26 38:

وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ المَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُل مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ العَذْرَاءِ مَرْيَمُ. فَدَخَلَ إِلَيْهَا المَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا المُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ، وَفَكَّرَتْ:«مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ التَّحِيَّةُ!» فَقَالَ لَهَا المَلاَكُ:«لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ العَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ». فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟» فَأَجَابَ المَلاَكُ وَقَالَ لَهَا: «الرُّوحُ القُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا القُدُّوسُ المَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ. وَهُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ هِيَ أَيْضًا حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا، وَهذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ المَدْعُوَّةِ عَاقِرًا، لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ». فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ». فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا المَلاَكُ.

إذًا، فَقَدْ أرْسَلَ اللهُ العَلِيُّ المَلاكَ جِبْرائيلَ إلى النَّاصِرَةِ لِيُخْبِرَ فَتاةً عَذْراءَ اسْمها "مَرْيَم" أنَّها سَتَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يَسُوعَ. وَلا شَكَّ أنَّ هَذا الخَبَرَ كَانَ صَدْمَةً حَقيقيَّةً لِهَذِهِ

الفَتاةِ العَذْراء. لِذلكَ فَقَدْ سَألتِ المَلاكَ: "كَيْفَ يَكُونُ هذا وَأنَا لَسْتُ أعْرِفُ رَجُلاً؟" فَأجَابَ المَلاكُ وَقَالَ لَها: "الرُّوحُ القُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ العَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أيْضًا القُدُّوسُ المَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ".

وَنَجِدُ في هَذِهِ الأعْدادِ رَدًّا على كُلِّ مَنْ لا يُؤمِنُ بالميلادِ العَذْراوِيِّ. فالحَقيقَةُ هِيَ أنَّ مُشْكِلَةَ هَؤلاءِ لَيْسَتْ مَعَ المِيلادِ العَذْراوِيِّ، بَلْ مَعَ اللهِ نَفْسِهِ. وَالسَّبَبُ في ذَلِكَ هُوَ أنَّ أفكارَهُمْ عَنِ اللهِ هِيَ أفْكارٌ مَغْلوطَةٌ. وَنُلاحِظُ هُنا أنَّ المَلاكَ قالَ لِمَرْيَمَ: "لأنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ". وَيَحْسُنُ بِنا جَميعًا أنْ نَتَذَكَّرَ هَذِهِ الكَلِماتِ. فاللهُ الحَقيقيُّ الحَيُّ هُوَ رَبُّ هَذِهِ الخَليقَةِ كُلِّها. وَهُوَ قادِرٌ أنْ يَفْعَلَ مَا يَشاء لأنَّهُ لا يَعْسُرُ عَلَيْهِ أمْرٌ. وَكَما رَأيْنا قَبْلَ قَليل، فَإنَّ العَذْراءَ مَرْيَمَ صَدَّقَتْ كَلامَ المَلاكِ وَسَلَّمَتْ أمْرَها للهِ العَلِيِّ قائِلَةً: "هُوَذَا أنَا أمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ".

وَيا لَها مِنْ صُورَةٍ جَميلَةٍ وَرائِعَةٍ للخُضوعِ وَالطَّاعَةِ! وَلَكِنَّ يُوسُفَ خَطيبَ مَرْيَمَ وَجَدَ صُعوبَةً في تَصْديقِ مَا سَمِع. وَقَدْ كادَ هَذا الأمْرُ أنْ يُنْهي خِطْبَتَهُما. وَقَدْ كانَتِ الخِطْبَةُ في ذَلِكَ الوَقْتِ أمْرًا جَادًّا لا مُزاحَ فيه. بِعِبارَةٍ أُخرى، كَانَتِ الخِطْبَةُ آنَذاكَ مُلْزِمَةً للطَّرَفَيْنِ. وَفي حَالِ مَوْتِ الرَّجُلِ في فَتْرَةِ الخِطْبَةِ، كانَتْ خَطيبَتُهُ تُعَدُّ أرْمَلَةً. وَفي حَالِ رَغْبَةِ أيٍّ مِنَ الطَّرَفَيْنِ في فَسْخِ الخِطْبَةِ، كانَ ذَلِكَ يُسَمَّى طَلاقًا.

وَلأنَّ يُوسُفَ كَانَ يَعْلَمُ أنَّهُ لَمْ يَتَمادى في العَلاقَةِ مَعَ خَطيبَتِهِ مَرْيَم وَلَمْ يَلْمَسْها، فَقَدِ اسْتَنْتَجَ أنَّ مَرْيَمَ خَانَتْهُ في فَتْرَةِ الخِطْبَةِ مَعَ رَجُلٍ آخَر. وَقَدْ وَضَعَهُ ذَلِكَ الأمْرُ في مَوْقِفٍ صَعْبٍ جِدًّا. فَإنْ أذاعَ خَبَرَ خِيانَةِ مَرْيَمَ لَهُ، كانَ عِقابُها (وَفْقًا للشَّريعَةِ) هُوَ الرَّجْمُ حَتَّى المَوْت. وَمَعَ أنَّ يُوسُفَ لَمْ يَرْغَبْ في حُدوثِ ذَلِكَ، فَإنَّهُ شَعَرَ أنَّهُ تَعَرَّضَ للخِيانَة. وَلَكِنَّ حُبَّهُ الشَّديدَ لَها جَعَلَهُ يُفَكِّرُ جِدِّيًّا في تَطْليقِها سِرًّا. وَحينئذٍ، تَداخَلَ اللهُ في المَوْقِفِ إذْ نَقْرَأُ في إنْجيل مَتَّى 1: 20 و 21: "وَلكِنْ فِيمَا هُوَ [أيْ: يُوسُفُ] مُتَفَكِّرٌ فِي هذِهِ الأُمُورِ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ. لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ».

وَلَمَّا اسْتَيْقَظَ يُوسُفُ مِنَ الحُلْمِ، كَانَ خَوْفُهُ وَشَكُّهُ قَدْ تَلاشَيا. لِذلكَ فَقَدْ فَعَلَ كَمَا أمَرَهُ مَلاكُ الرَّبِّ، وَأخَذَ امْرَأتَهُ. وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا البِكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ. وَكَانَ يُوسُفُ وَمَرْيَمُ يَعْتَزِمانِ البَقاءَ في النَّاصِرَةِ إلى أنْ تَلِدَ طِفْلَها يَسوع. وَلَكِنْ فِي تِلْكَ الأيَّامِ صَدَرَ أمْرٌ مِنْ أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِأنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ المَسْكُونَةِ. وَقَدْ كانَتِ الغَايَةُ مِنْ ذَلِكَ الاكْتِتابِ هُوَ دَفْعُ الضَّرائِبِ. وفي سَبيلِ تَحْقيقِ تِلْكَ الغَايَةِ، كانَ يَنْبَغي لِكُلِّ شَخْصٍ أنْ يَذْهَبَ إلى مَسْقَطِ رَأسِهِ لِتَسْجيلِ اسْمِهِ لِغاياتِ جَمْعِ الضَّرائِبِ. وَهَذا هُوَ السَّبَبُ الذي دَفَعَ يُوسُف وَمَرْيَم إلى الانْطِلاقِ في تِلْكَ الرِّحْلَةِ الشَّاقَّةِ إلى أورُشَليم لا سِيَّما أنَّها كانَتْ تَبْعُدُ نَحْوَ مِئَةٍ وَعِشْرينَ كيلومترًا.

وَقَدْ تَقولُ، عَزيزي المُستمِع، أنَّ رِحْلَةً كَهَذِهِ لَيْسَتْ شَاقَّةً. وَلَكِنْ هَلْ قُمْتَ بِها سَيْرًا على القَدَمَيْن؟ وَهَلْ هِيَ سَهْلَةٌ على امْرَأَةٍ قَدْ تَلِدُ في أيِّ وَقْتٍ؟ وَلا شَكَّ أنَّ يُوسُفَ كانَ خَائِفًا على مَرْيَمَ وَهُما في طَرِيقِهِما مِنَ النَّاصِرَةِ إلى أورُشَلِيم لِتَنْفيذِ أمْرِ المَلِك. وَلَكِنَّ أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ لَمْ يَكُنْ هُوَ الآمِرُ النَّاهي، بَلْ كانَ مُجَرَّدَ أداةٍ في يَدِ اللهِ القَدير الذي أرادَ للطِّفْلِ يَسوعَ أنْ يُوْلَدَ في بَيْتِ لَحْمٍ تَتْميمًا للنُّبوءاتِ. فَنَحْنُ نَقرأُ في سِفْرِ مِيْخَا 5: 2: "أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ القَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَل".

وَالحَقيقَةُ هِيَ أنَّ هَذِهِ النُّبوءَةَ تُرينا أنَّ قَرْيَةَ بَيْتَ لَحْمٍ الصَّغيرَةَ سَيَكونُ لَها دَوْرٌ مُهِمٌّ في تَتْميمِ مَقاصِدِ اللهِ العَلِيِّ. فَمِنْ بَيْنِ كُلِّ قُرى العَالَم، اخْتارَ اللهُ بَيْتَ لَحْمٍ مَكانًا لِوِلادَةِ المَسِيَّا. وَهَذا يُرينا أنَّ أوغُسْطُس قَيْصَر لَمْ يَكُنْ سِوى أداةً في يَدِ اللهِ الحَيِّ. فَاللهُ هُوَ الذي كَانَ يُحَرِّكُ الأُمورَ وَيُديرُها لِتَحْقيقِ أهْدافِهِ وَمَقاصِدِهِ الإلهيَّةِ. بِعِبارَةٍ أُخرى، فَقَدِ اسْتَخْدَمَ اللهُ جَشَعَ أوغُسْطُس قَيْصَر وَحُبَّهُ للمَالِ لِتَهْيِئَةِ الظُّروفِ المُواتِيَةِ للقِيامِ بِتِلْكَ الرِّحْلَةِ الشَّاقَّةِ مِنَ النَّاصِرَةِ إلى بَيْتِ لَحْمٍ لإتْمامِ مَشيئَةِ اللهِ في أنْ يُوْلَدَ الطِّفْلُ يَسوعُ في بَيْتِ لَحْمٍ تَمامًا كَما جَاءَ في نُبوءاتِ العَهْدِ القَديم.

وَيُمْكِنُكَ، صَديقي المُستمِع، أنْ تَتَخَيَّلَ مَرْيَمَ وَهِيَ تَضَعُ يَدَيْها على بَطْنِها وَتَتَساءَلُ عَمَّا يَنْتَظِرُها في بَيْتِ لَحْمٍ! فالطِّفْلُ الذي نَما في رَحْمِها سَيَحْكُمُ العَالَمَ في يَوْمٍ مَا بالبرِّ وَالعَدْلِ وَالسَّلام. وَلَكِنْ قَبْلَ أنْ يَحْدُثَ ذَلِكَ، يَجِبُ عليها أنْ تَلِدَهُ. وَرُبَّما كانَتْ تُفَكِّرُ آنَذاكَ في صُعوبَةِ العُثورِ عَلى مَكانٍ مُناسِبٍ تَلِدُ فيهِ الطِّفْلَ يَسوع! فَهَلْ سَتَجِدُ غُرْفَةً نَظيفَةً وَمَكانًا هَادِئًا؟ وَلَكِنْ حَتَّى لَوْ كانَتْ آمالُ مَرْيَمَ المُطَوَّبَةَ عَالِيَةً طَوالَ الرِّحْلَةِ، فإنَّ آمالَها تِلْكَ قَدْ تَحَطَّمَتْ لَحْظَةَ وُصولِها إلى بَيْتِ لَحْمٍ. فَقَدْ كانَتِ المَدينَةُ تَزْدَحِمُ بالزُّوَّارِ الذينَ قَدِمُوا إليها لِتَسْجيلِ أسْمائِهِمْ لِغاياتِ دَفْعِ الضَّريبَة. وَكانَ الجَميعُ يَتَزاحَمونَ للعُثورِ عَلى مَكانٍ للمَبيت. وَقَدْ حاوَلَ يُوسُفُ أنْ يَجِدَ مَكانًا مُناسِبًا لَهُ وَلِمَرْيَمَ فَلَمْ يَجِد!

وَيَجِبُ علينا أنْ نَتَذَكَّرَ، يا أحِبَّائي، أنَّ الفَنادِقَ آنَذاكَ لَمْ تَكُنْ كَالفَنادِقِ في وَقْتِنا الحَاضِرِ. فَقَدْ كانَتْ مُجَرَّدَ مَكانٍ بَسيطٍ جِدًّا يَبيتُ فيهِ المُسافِرونَ لَيْلًا لِحِمايَةِ أنْفُسِهِمْ مِنَ البَرْدِ وَالحَيَواناتِ المُفْتَرِسَةِ. وَبِسَبَبِ ازْدِحامِ المَدينَةِ، كانَ أفْضَلُ مَكانٍ تَمَكَّنَ يُوسُفُ مِنَ العُثورِ عَلَيْهِ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ هُوَ حَظيرَة. وَيَقولُ بَعْضٌ إنَّ ذَلِكَ المَكانَ كانَ مَغارَةً. وَأيًّا كانَ الأمْرُ، فإنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَكانًا يَبيتُ فيهِ النَّاسُ عَادَةً، بَلْ كانَ مَكانًا وَضيعًا لإيواءِ المَاشِيَة. وَنَقْرَأُ في إنْجيل لوقا: "وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. فَوَلَدَتِ ابْنَهَا البِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي المِذْوَدِ". وَالمِذْوَدُ، يا صَديقي، هُوَ جُرْنٌ (أوْ وِعاءٌ كَبيرٌ) يُوْضَعُ فيهِ عَلَفُ المَاشِيَةِ. وَهَذا يُرينا أنَّ مُخَلِّصَ العَالَمِ وُلِدَ في مَكانٍ وَضيعٍ وَلَيْسَ في قَصْرٍ أوْ أيِّ مَكانٍ فَاخِرٍ!

وَقَدْ تَسْألُ، صَديقي المُستمِع: "هَلْ بَكى يَسوعُ عِنْدَ وِلادَتِهِ؟" والحَقيقَةُ هِيَ أنَّ الكِتابَ المُقَدَّسَ لا يُخْبِرُنا شَيْئًا عَنْ ذلِك. وَلَكِنْ لا يُوْجَدُ مَا يَمْنَعُ أنْ يَكونَ قَدْ بَكى. فَقَدْ تَرَكَ يَسوعُ أمْجادَ السَّماءِ وَجاءَ إلى عالَمٍ سَيُلاقي فيهِ الاحْتِقارَ وَالرَّفْضَ. وَعلى أيِّ حَالٍ، فَقَدْ كانَ اللهُ

الآبُ هُوَ المُسَيْطِرُ على كُلِّ الأحْداثِ مُنْذُ اللَّحْظَةِ الأولى إلى النِّهايَة. وَكانَتِ السَّماءُ كُلُّها تُراقِبُ مَا يَجْري باهْتِمامٍ بالِغٍ. وَلَكِنْ في ضَوْءِ هَذا الاهْتِمامِ كُلِّهِ، لِماذا يَسْمَحُ اللهُ لابْنِهِ يَسوعَ أنْ يُوْلَدَ في مَكانٍ وَضيعٍ كَهَذا؟ وَالحَقيقَةُ هِيَ أنَّ الرَّسولَ بولسَ يُجيبُ عَنْ هَذا السُّؤالِ في رِسالَتِهِ الثّانيةِ إلى أهْلِ كورِنثوس 8: 9 فيقول: "فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ المَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ". إذًا هَذا هُوَ سَبَبُ وِلادَةِ يَسوعَ في مِذْوَدٍ وَضيعٍ لأنَّهُ جَاءَ لا لأجْلِ الأغْنياءِ أوْ لأجْلِ فِئَةٍ خَاصَّةٍ مِنَ النَّاس، بَلْ جَاءَ لِجَميعِ البَشَرِ بِجَميعِ فِئاتِهِم.

وَفي مَكانٍ لَيْسَ بَعيدًا عَنِ المَوْضِعِ الذي وُلِدَ فيهِ الطِّفْلُ يَسوعَ، كانَ هُناكَ رُعاةٌ يَبيتُونَ في العَرَاءِ، يَتَنَاوَبُونَ حِرَاسَةَ قَطِيعِهِمْ فِي اللَّيْلِ. وَإِذَا مَلاكٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا أَشَدَّ الخَوْفِ. فَقَالَ لَهُمُ المَلاكُ: "لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ اليَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ المَسِيحُ الرَّبُّ. وَهذِهِ لَكُمُ العَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ». وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ المَلاكِ جُمْهُورٌ مِنَ الجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: «المَجْدُ للهِ فِي الأعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ المَسَرَّةُ»".

أجَلْ يا صَديقي! فَمِنْ خِلالِ وِلادَةِ الطِّفْلَ يَسوعَ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ (قَبْلَ نَحْوِ أَلْفَي سَنَةٍ)، صَارَ السَّلامُ مَعَ اللهِ أمْرًا مُمْكِنًا للإنسان. فيسوعُ المَسيحُ أتاحَ لَنا جَميعًا فُرْصَةَ المُصالَحَةِ مَعَ اللهِ وَفُرْصَةَ أنْ نَكونَ في سَلامٍ مَعَهُ. آمين!

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

لَقَدِ اسْتَمَعْنا في حَلْقَةِ اليومَ إلى الجُزْءِ الأوَّلِ مِنْ قِصَّةِ ميلادِ يَسوعَ المَسيح. وَعِنْدَما نَتَأمَّلُ في تِلكَ اللَّيْلَةِ المَصيريَّةِ التي وُلِدَ فيها يَسوعُ، يُمْكِنُنا أنْ نَلْمَسَ السَّكينَةَ التي عَمَّتِ الكَوْنَ كُلَّهُ آنَذاك! فَسَلامُ اللهِ الذي يَفوقُ كُلَّ عَقْلٍ تَلامَسَ مَعَ البَشَريَّةِ وَغَيَّرَ مَسارَ حَياتِنا إلى أبَدِ الآبِدين. وَفي الحَلْقَةِ القادِمَةِ مِنْ بَرْنامَج "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم"، سَيُتابِعُ الرَّاعي "ثشك سميث" (بِمَشيئَةِ الربِّ) تَأمُّلَهُ في قِصَّةِ المِيلادِ العَجيب. لِذَا، أرْجو، صَديقي المُسْتَمِع، أنْ تَكونَ بِرِفْقَتِنا وَأنْ تُصْغي إلينا في المَرَّةِ القادِمَة لِكَيْ تَنالَ كُلَّ بَرَكَةٍ وَفائِدَة.

وَصَلاتُنا لأجْلِكَ، يا صَديقي، هِيَ أنْ يُبارِكَكَ الرَّبُّ بِكُلِّ بَرَكَةٍ، وَأنْ يَلْمَسَ قَلْبَكَ لِقَبولِ يَسوعَ المَسيحَ رَبًّا وَمُخَلِّصًا لِحَياتِكَ الآن. باسْمِ يَسوعَ نُصَلِّي. آمين!